حكاياتٌ دعويّة
(٧)

فَرَجٌ وَلَوْ بَعْدَ حِيْن!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حكاية العطّار الأمين

روىٰ القاضي التنوخي هذه الحكاية الرائعة :

يروىٰ أنّ عطّاراً مِنْ أهلِ الكَرْخِ ، كانَ مشهوراً بالسَّتْرِ والأمانةِ ، فركبَهُ دَيْنٌ ، وقام من دُكّانِه ، ولَزِمَ بيتَه مُسْتَتراً ، وأقبل علىٰ الدّعاءِ والصلاةِ ، إلىٰ أنْ صلّىٰ ليلةَ الجمعةِ صلاةً كثيرة ، ودعا ، ونامَ ، فرأىٰ النبيَّ ﷺ في منامِه ، وهو يقولُ له : « اِقْصِدْ عليَّ بن عيسىٰ ـ وكان إذْ ذاكَ أميراً ـ فقد أمرتُه أن يدفعَ إليك أربعمئةِ دينارٍ ، فخُذْها وأَصْلِحْ بها أَمْرَكَ » .

قال الرجلُ : وكان عليَّ ستمئةِ دينارٍ دَيناً ، فلما كان من الغَدِ ، قلتُ : قدْ قال النبي ﷺ : « مَنْ رآني

في منامِه فقدْ رآني ، فإنّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي »

فلِمَ لا أقْصِدُ الوزير؟!

فانطلقتُ إليه ، فلما صِرْتُ ببابِه ، مُنِعْتُ من الوصولِ إليه ، فجلستُ إلىٰ أنْ ضاقَ صدْري ، وهَمَمْتُ بالانْصرافِ .

فخرجَ أبو بكر الشافعيّ - وكانَ صاحبَ الوزير (عليّ بن عيسىٰ) - ، وكان يَعرفني معرفةً ضعيفةً ، فأخبرتُه الخبرَ..

فقال : يا هذا! الوزيرُ واللهِ في طَلَبِكَ منذ السَّحر إلىٰ الآن ، وقد سألَني عنكَ فأنْسِيْتُكَ ، وما عَرَفَكَ أحدٌ ، والرسُلُ مبثوثةٌ في طَلَبِكَ ، فكُنْ بمكانِكَ .

ثم رَجَعَ فدخَلَ ، فلم يَكُنْ بأسرعَ مِنْ أنَ دُعِيَ بي ، فدخلتُ إلىٰ علي بن عيسىٰ .

فقال لي : ما اسمُكَ؟

قلتُ : فلان بن فلان العطّار .

قال : مِنْ أهلِ الكَرْخ؟

قلت : نعم .

قال : أَحْسَنَ اللهُ إليكَ في قَصْدِكَ إيايّ ، فواللهِ ما تَهنّأتُ بعيشٍ منذ البارحةِ ، فإنّ رسول الله ﷺ جاءني البارحةَ في منامي ، فقال : أَعْطِ فلان بن فلان العطّارَ من أهلِ الكرخِ أربعمئة دينارٍ يُصْلِحْ بها شَأنَه ، فكنْتُ اليومَ في طَلَبِكَ ، وما عَرَفَكَ أحدٌ .

فقلتُ : إنّ رسولَ الله ﷺ جاءني البارحةَ ، فقال لي : كيت وكيت..

ثم قال : هاتوا أَلْفَ دينارٍ ، فجاؤوه بها عَيْناً..

فقال : خُذْ منها أربعمئةِ دينارٍ ، امتثالاً لأمرِ رسول الله ﷺ ، وستمئةِ دينارٍ هبةً منّي إليكَ .

فقلتُ : أيها الوزير! ما أحبُّ أَنْ أَزدادَ علىٰ عطاءِ

رسولِ اللهِ ﷺ شيئاً ، فإني أرجو البركةَ فيه ، لا فيما عداه...

فبكىٰ عليّ بن عيسىٰ ، وقال : هذا هو اليقينُ ، خُذْ ما بدا لكَ .

فأخذتُ أربعمةِ دينارٍ ، وانصرفْتُ...

وقصصْتُ قصَّتي علىٰ صديقٍ لي ، وأَرَيْتُه الدنانيرَ ، وسألتُه أن يَقْصِد غُرَمائي ، ويتوسَّطَ بيني وبينهم ، فَفَعل .

وقالوا : نمهله بالمال ثلاث سنين...

فقلتُ : لا ، ولكن يأخذونَ مني الثلثَ عاجلاً ، والثلثَين في سنتين ، في كلِّ سنةٍ ثلثاً...

فَرَضُوا بذلك ، فأَعْطيتُهم مئتي دينارٍ ، وفتحتُ دكّاني بالمئتي دينارٍ الباقية .

فما حالَ الحولُ ـ السنة ـ إلا ومعي ألفُ دينارٍ..

فقضيت ديني ، وما زال مالي يَزيدُ ، وحالي يَصْلُـح ، وذلـك كلُّـه ببـركـةِ رسـولِ الله ﷺ ، والحمدُ لله رب العالمين .

* * *

يا فارجَ الشّدائدِ : يا رب

وحَـدَثَ مـع أحـدِ تجّـارِ الكَـرْخِ ببغـدادَ هـذهِ الحكايةُ ، قال :

كنتُ أعامِلُ رجلاً من الخُراسانيةِ ، أَبيعُ له في كلِّ موسمٍ مَتاعاً ، فأنتفعُ من سَمْسَرَتِه بألوفِ الدراهمِ .

فلما كانت سنةٌ من السنين تَأَخَّر عني ، فأَثّر ذلك في حالي ، وتواترتْ عليّ مِحَنٌ ، فأغلقْتُ دكّاني وجلسْتُ في بيتي ، مستَتِراً من دينٍ لَحِقَني ،... أربعَ سنين! فلما كان في وَقتِ الحجّ ، تتبعَتْ نفسي خبرَ الخُراسانيِّ ، طَمَعاً في إصلاحِ أَمْري به ، فمضيتُ إلىٰ سوق يحيىٰ - مكان في بغداد - ، فلم

أُعْطَ له خبراً ، فرجعْتُ ، فنزلْتُ الجزيرةَ وأنا تَعِبٌ مَغْمومٌ...

وكان يوماً حارّاً ، فنزلتُ إلىٰ دجلةَ ، فَتَغسّلْتُ ، وصَعِدْتُ ، فابْتلَّ موضعُ قدمي ، فقلعَتْ رِجلي قطعةً من الرّمل ، انكشفت عن سَيْر[1] .

فلبسْتُ ثيابي ، وجلسْتُ مفكّراً أُوْلَعُ بالسَّير ، فلم أَزَلْ أَجُرَّه حتىٰ ظَهَرَ لي هِمْيانٌ[2] موصولٌ به ، فأخذْتُه ، فإذا هو مملوءٌ دنانيرَ ، فأخفَيْتُه تحتَ ثيابي ، ووافيتُ مَنْزِلي ، فإذا فيه ألفُ دِينارٍ...

فقوّيتُ نفسي قوةً شديدةً ، وعاهدتُ الله عز وجل أنه متىٰ صَلحَتْ حالي ، وعادتْ ، أن أُعَرِّفَ الهِمْيانَ ، فمنْ أَعْطاني صِفَتَه ، رَدَدْتُه عليه..

---

(١) هو : قطعة من الجلد ، مستطيلة .

(٢) هو : حزام عريض ، يشدّ علىٰ وسط الرجل ، يودع في باطنه المال .

واحتفظْتُ بالهميان ، وأصلحتُ أمري مع غُرَمائي ، وفَتَحْتُ دكّاني ، وعُدْتُ إلىٰ رسمي من التجارة والسَّمْسَرة ، فما مضتْ إلا ثلاثُ سنين حتىٰ حَصَلَ في مِلكي ألوفُ الدنانير!

وجاء الحجُّ ، فتتبعْتُهم لأُعَرِّفَ الهميان ، فلم أَجِدْ من يُعْطيني صِفَتَه ، فعُدْتُ إلىٰ دُكّاني .

فبينما أنا جالس ، إذا رجلٌ قائمٌ حِيالَ دُكّاني ، أَشْعَثُ ، أَغْبرُ ، في خِلْقَةِ سؤّال[1] الخُراسانيةِ وزيِّهم ، فظنَنْتُه سائلاً ، فأومأْتُ إلىٰ دُرَيهِماتٍ لأُعْطيَه ، فأسرع الانصرافَ ، فارتبْتُ به ، فَقُمْتُ ، ولَحقْتُه ، وتأمّلْتُه ، فإذا هو صاحبي الذي كنتُ أنتفعُ بسَمْسَرَتِه في السنةِ بألوفِ الدراهم...!

فقلت له : يا هذا! ما الذي أصابَكَ؟ وبَكَيْتُ رحمةً له...

---

(١) السؤال : جمع سائل ، وهو الشحّاذ .

فبكىٰ ، وقال : حديثي طويلٌ..

فقلتُ : البيت ، وحملْتُه إلىٰ مَنزلي ، فأدخلتُه الحمَّامَ ، وأَلْبَسْتُه ثياباً نَظيفةً ، وأَطْعمتُه ، وسألْتُه عن خَبَره..

فقال : أنتَ تَعرِفُ حالي ونِعْمتي ، وإني أَرَدْتُ الخروج إلىٰ الحجِّ في آخرِ سنةٍ جئتُ إلىٰ بَغدادَ .

فقال لي أميرُ البلدِ : عندي قطعةُ ياقوتٍ أحمرَ كالكفِّ ، لا قيمةَ لها عِظَماً وجَلالةً ، ولا تَصْلُحُ إلا للخَليفةِ ، فخُذْها معك ، فَبِعْها لي ببغدادَ ، واشْتَرِ لي من ثمنِها متاعاً طَلَبَه ، من عِطْرٍ و... ، بكذا وكذا ، واحمل الباقيَ مالاً...

فأخذتُ قطعةَ الياقوتِ ، وهي كما قال ، فجعلْتُها في هِمْيان جِلْدٍ ، من صفتِه كَيْتَ وكيت ، ووَصَفَ الهميان الذي وجدْتُهُ ، وجعلتُ في الهميان ألفَ دينارٍ عَيْناً من مالي ، وحملْتُه في وسَطي .

فلما جئتُ إلىٰ بغدادَ ، نزلتُ أسبحُ عَشِيّاً في الجزيرةِ التي بسوقِ يَحيىٰ ، وتركتُ الهميان وثيابي بحيثُ أُلاحظها... ، ولما صَعِدْتُ ، لبست ثيابي ، وأُنْسِيتُ الهميان..

وفي اليوم الثاني رُحْتُ أبحثُ عنه ، فلم أَجِدْهُ ، فهوّنْتُ علىٰ نفسي المصيبةَ ، وقلتُ : لعلّ قيمةَ الحجرِ ثلاثةُ آلافِ دينار ، أُعيدُها إليه!

وذهبتُ إلىٰ الحجِّ ، ولما عدْتُ إليه ، قلتُ : خُذْ مني تَمامَ ثلاثةِ آلافِ دينارٍ ، عوَضاً عن الحجرِ... ، فقال : وَيْحَكَ يا هذا! إنه يساوي خمسينَ ألفِ دينارٍ!!

فَقَبَضَ عليّ ، وصادرَ أملاكي وأموالي ، وحَبَسني سبعَ سِنين ، وأَنْزلَ بي صفوفَ المكارِه ، ومنذُ أَشْهُرٍ أَطلقَ سَراحي ، وها أنذا أَسيرُ علىٰ أقدامي مع الحجِّ الخُراسانيّ ، ولا أدري ما أعملُ ،

فجئتُ إليك لأشاوِرَكَ في مَعاشٍ أَتَعَلَّقُ به..

فقلتُ : قد رَدَّ اللهُ عليك بعضَ ضالّتِك ، هذا الهميان الذي وصفْتَه ، عندي ، وكان فيه ألفُ دينارٍ أخذتُها ، وعاهدتُ اللهَ تعالىٰ ، أنني ضامنُها لمن يُعطيني صِفَةَ الهميان..

فقال : يا سيِّدي! الهميانُ بعينِه عندَكَ ، لم يَخْرجْ عن يدِك؟

قلتُ : نعم .

فقال : أينَ هو؟ فجئتُه به ، فطَلَبَ سِكِّيْناً ، فأَتَيْتُه بها ، فأَخْرجَ من سِفْلِ الهميان حَجَرَ ياقوتٍ أَحْمرَ ، أَشْرَقَ منه البيت ، فأقبل علي يَشْكرني ، ويَدْعو لي ، فقلتُ له : خُذْ دنانيرَكَ..

فحَلَفَ بكلِّ يَمينٍ ، لا يأخذُ منها إلا ثَمَنَ ناقةٍ ، ونَفَقَةً تُبَلِّغُه ، وأَحَلَّني من الباقي..

..... فلما كان العامُ المقْبِلُ ، جاءَني بقريبٍ مما

كان يَجيئُني به سابقاً من المتاعِ .

فقلتُ له : أَخْبِرْني خَبَرَكَ .

فقال : مَضَيتُ ، فشرحْتُ لأهلِ البلدِ خَبري ، وأَرَيتُهُم الحجَرَ ، فجاء معي وجوهُهُمْ إلىٰ الأميرِ ، وأَعْلَموه القصةَ ، وخاطَبوه في إنْصافي...

فأخذَ الحَجَرَ ، ورَدَّ عليّ جميعَ ما كان أَخَذَه مني ، من متاعٍ وعَقارٍ وغيرِ ذلك ، ووهَبَ لي مِنْ عنده مالاً .

وقال : اجعلني في حِلٍّ مما عذّبْتُكَ وآذَيْتُكَ ، فأحلَلْتُه وسامَحْتُه ، وعادتْ نِعمتي إلىٰ ما كانتْ عليه...

وعدتُ إلىٰ تِجارتي ومَعاشي ، وكلُّ هذا بفضلِ اللهِ تعالىٰ ، ثمّ بَرَكتِكَ ، ودعا لي..

وكان يَجيئُني بعدَ ذلك ، حتىٰ ماتَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ...

ما أقرب فرج الله سبحانه!!

وعندما سمعت (ليلىٰ) تلك الحكايةَ الرائعةَ ، دَعَتْ قائلةً :

اللهـمَّ اجعَـلْ لـي مـن كـلِّ مـا أَهَمَّنـي فَـرَجـاً ومَخْرَجاً ، وارْزُقْني من حيثُ لا أَحْتَسِبُ ، واغفرْ لي ذنوبي ، وثبِّتْ رجاءَكَ في قَلبي ، واقطعْهُ عَمَّنْ سِوَاكَ ، حتىٰ لا أَرْجو أحداً غيرَك...

* * *